هجرة المستضعفين فى ضوء القرآن الكريم[1]
(تعريف الهجرة ـ أسبابها – و فوائدها التربوية)

إلهام شكري بن بخاري
مدرس التفسير بالجامعة الإسلامية الحكومية بنجكولو
(البريد الإلكتروني: ilhamsyukri85@gmail.com)

ملخص

Abstract

The immigration of Prophet *Muhammad*, otherwise known as the *Hijrah*, was not about running away from being killed, nor was it about fear, or a retreat from bidding the lawful or forbidding the unlawful. The *Hijrah* was done in obedience to what *Allah* had ordered. During the *Hajj* season, when the people gathered, the Prophet *peace be upon him* used to call them to *Islam* and say to them: *"***say no one is God except *Allah* and then you will succeed***".*

The Prophet was very patient with what the blasphemers had done to him. His companions tolerated many types of torture including whipping, hitting, imprisonment, burning, and execution. Yet when they gained the support and aid from *Allah*, it was as if they had turned into a solid rock that could not be scratched. Their pious heartbeats and their silent supplications shook the hearts and thrones of the disbelievers.

[1] من معاني الاستضعاف في الأرض :المعنى الأول :وقد وقف بعض العلماء عند كلمة مستضعفين ، قد تكون ضعيفاً، ولا تستطيع أن تؤدي العبادات، والبلد الذي يرفع شعار (لا إله)، وهو في المعسكر الشرقي السابق، البلد مبدأه (لا إله)، إذاً: لا مسجد، ولا كنيسة، ولا معبد، ولا صلاة، ولا أي شيء يمتّ إلى الدين بصلة، فإذا كنت مستضعفاً في بلد قمعي يكافح أي اتجاه ديني، ولأنك مخلوق لعبادة الله، ولأن علة وجودك أن تعبده فلابد أن تهاجر منه .مثلاً: لو أنك طالب فقير، وذهبت إلى بلد غربي من أجل أن تأخذ الدكتوراه، ولا أمل لك في الحياة إلا بهذه الدكتوراه، وأنت مستعد أن تعمل في الحراسة، وفي المطعم، وفي أصعب الحِرَف مقابل، أن تنتسب إلى الجامعة كي تنال الدكتوراه، فإذا لم تُقبَل في الجامعة هل هناك من معنى لبقائك في هذا البلد ؟ إن علة وجودك أن تلتحق بالجامعة، فإذا مُنعتَ فلا وجه لبقائك في هذا البلد، يقاس عليه أن علة وجودك في الدنيا أن تعبد الله، فإذا مُنعتَ أن تعبد الله فيوم القيامة سوف تحاسب أشد الحساب إن لم تهاجر إلى بلد تعبد الله فيه.﴿ فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ 97 ﴾ سورة النساء ماذا كان الرد الإلهي ؟ ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا 97 ﴾ سورة النساء في بعض البلاد لا تستطيع أن تربي أولادك على منهج الله، الحياة إغراءاتها أقوى من أية دعوة إسلامية، المعاصي الكبيرة فيها، والفحشاء كشربة الماء، لذلك حينما تكون في بلد الدخل فيه وفير، والبلاد جميلة، والإنسان يتمتع بحريات مذهلة، وأي شيء خطر في بالك يكون أمامك باتصال هاتفي، لكن لا تستطيع أن ترعى أولادك، ولا أن تربيهم تربية صحيحة، إذاً: أنت ممن ينطبق عليهم هذا الحُكمُ القرآني. شاهد أب مع ابنته شابا في سريرها، كونه مسلما فيه بقية حمية، وبقية مروءة، وبقية غيرة رفع صوته، فلما رفع صوته اشتكت ابنته عليه، وسيق إلى المركز، وكتب تعهدا بألاّ يلجأ ثانية لرفع الصوت، لأن هذا الذي معها في الغرفة ضيفها، وجاء بدعوة منها.
الحديث طويل بهذا المعنى، فلذلك حينما تكون في بلد لا تستطيع أن تعبد الله فيه فالآية تقول :﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا 97﴾ سورة النساء المعنى الثاني : بعضهم قال: كلمة (مستضعفين) لا تعني أننا مقموعون فقط، فقد تكون في بلد فيه حرية، لكن الشهوات فيه مستعرة، والفتن يقظة، وأكبر معصية تتم في الشارع وفي حديقة أمام الناس، بلا حرج وبلا خوف وبلا حياء، فمثل هذه الأماكن ربما لا يستطيع الإنسان أن يضبط نفسه فيها، فلذلك طوبى لمن وسعته السنة، ولم تستهوه البدعة . (انظر: مقال فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي)

Keyword: Immigration, Prophet Muhammad, Hijrah

المقدمة

أولا - تعريف الهجرة :

هجر - يهجر- هجرا أى ترك وطنه وانتقال من البلاد إلى البلاد نحو قوله تعالى فى سورة الحشر الأية التاسعة

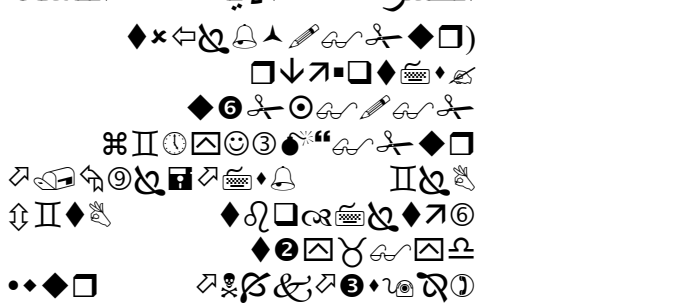

أي: والذين استوطنوا المدينة، وآمنوا من قبل هجرة المهاجرين - وهم الأنصار- يحبون المهاجرين، ويواسونهم بأموالهم، ولا يجدون في أنفسهم حسدًا لهم مما أُعْطوا من مال الفيء وغيره، ويُقَدِّمون المهاجرين وذوي الحاجة على أنفسهم، ولو كان بهم حاجة وفقر، ومن سَلِم من البخل ومَنْعِ الفضل من المال فأولئك هم الفائزون الذين فازوا بمطلوبهم.

أن أصل الهجرة هجرة الوطن وفى الشرع ترك دارالكفر ولحق إلى دارالاسلام وأن المهاجر من فرق أهله ودينه وجاء إلى بلاد الاسلام وقصد النبى صلى الله عليه وسلم رغبة فيه وإيثارا،[2] إذا الهجرة الذى نعنيه هنا هجرة من مكة إلى المدينة كقوله تعالى فى سورة الأنفال:(

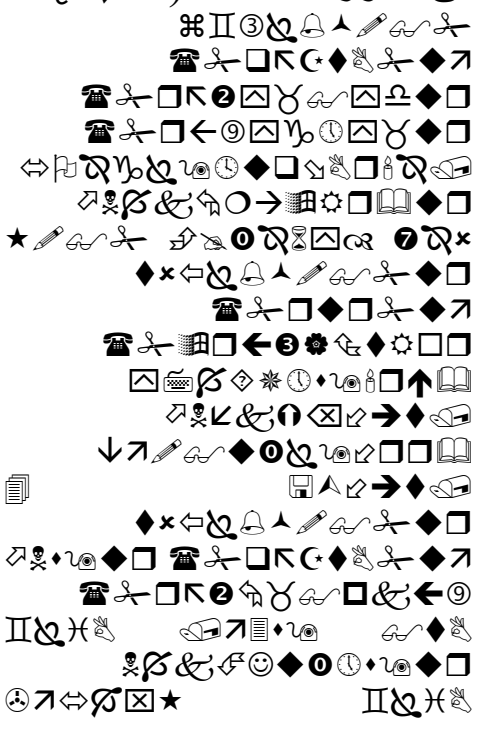

[2] جامع الأصول 241/1.

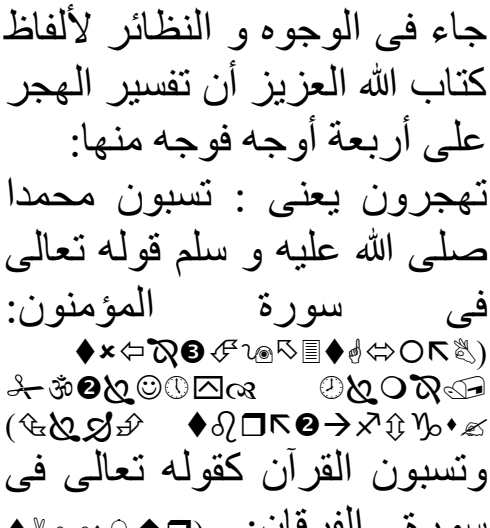

من هنا يتضح لنا أن الهجرة انتقال وحركةٌ :النقطة الدقيقة أن الهجرة انتقال من مكان إلى مكان، والبشر جميعاً في شتى بقاع الأرض، وفي شتى العصور ينتقلون، فإن تنقلت من مكان إلى مكان فأنت مهاجر، ولكن الآية الكريمة قيدت الهجرة في سبيل الله، لأن الهجرة قد تكون في سبيل الدنيا، أو في سبيل الشيطان، فإن كانت من أجل الأموال كي تنفق في المباحات فهي في سبيل الدنيا، وإن كانت من أجل المعاصي والآثام فهي في سبيل الشيطان، فالانتقال يكون عبادة من أرقى العبادات، وقد قال عليه الصلاة والسلام : (وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلِهَا)

جاء فى الوجوه و النظائر لألفاظ كتاب الله العزيز أن تفسير الهجر على أربعة أوجه فوجه منها: تهجرون يعنى : تسبون محمدا صلى الله عليه و سلم قوله تعالى فى سورة المؤمنون:

وتسبون القرآن كقوله تعالى فى سورة الفرقان:

الجهر: الانفراد والعزلة قوله تعالى فى سورة المزمل:

وقوله تعالى فى سورة مريم:

هاجر: أى رجع إلى طاعة الله عز وجل – وانتقل من بلد إلى بلد سلامة أمرالدين هذا هوالذى نقصد هنا بالهجرة قوله تعالى

في سورة العنكبوت :(
أى منتقل من حران إلى فلسطين وقوله تعالى فى سورة النساء:
ثانيا – أسباب الهجرة أن الناظر فى القران الكريم يجد أن الظروف المحيطة بها كانت تقتضى الهجرة من مكة إلى المدينة وذالك لأسباب الأتية منها : الفتنة فى الدين كما جاء فى قوله تعالى فى سورة النحل: (
الهجر : تحويل الوجه فى الفراش عن الزوجة قوله تعالى فى سورة النساء: (
أن هذه الأية نزلت فى المسلمين المستضعفين فى مكة هاجرومن بعد ما وافقوهم الفتنة فى الدين من تعذيب وإكراه تلفظ بكلمة

الكفروسب النبى الصلى الله عليه وسلم كما فى سورة النحل:

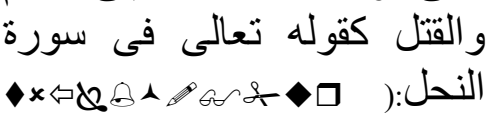

أوذى من أوذى من الصحابة حتى تؤدى تلك الفتنة إلى الظلم والقتل كقوله تعالى فى سورة النحل:(

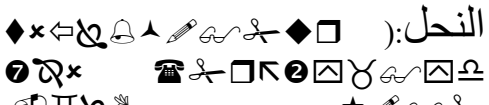

وفى سورة البقرة:

هذه الأية نزلت فى عماربن ياسر حين أخذه المشركون حتى يكفر ويترك دين محمد صلى الله عليه وسلم فوافقهم على ذلك مكرها [3]

من المعروف فى الدين بالضرورة أن من كفر بعد الايمان وصبر كان له غذابا غظيما فى الدارالأخرة لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الأخرة إلا من أكره بالكفر وقلبه مطمئن بالايمان، ومن هنا إتفق العلماء على أنه يجوز أن يوارى المكره على الكفر إبقاءا لمنهجه ولكن من باب الأولى أن يثبت المسلم على دينه ولويؤدى إلى القتل. والله أعلم.

[3] تفسير ابن كثير سورة النحل الأية : 106

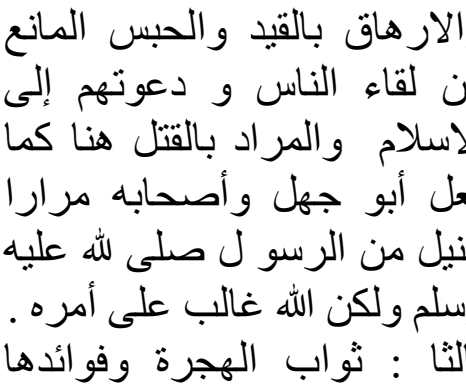

أن حقيقة الظلم والقتل من المشركين لا يراد به القضاء على الصحابة رسول الله فحسب إنما يراد به القضاء على دين الله كما قال تعالى فى سورة التوبة: (

ومن الأسباب الثانية : النيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما قال تعالى فى سورة الأنفال: (

المراد بالاثبات كما قاله المفسرون الشد بالوثاق والارهاق بالقيد والحبس المانع من لقاء الناس و دعوتهم إلى الاسلام والمراد بالقتل هنا كما فعل أبو جهل وأصحابه مرارا النيل من الرسو ل صلى الله عليه وسلم ولكن الله غالب على أمره .

ثالثا : ثواب الهجرة وفوائدها منها أن المهاجريبوؤ الله له الحسنات فى الدنيا يكفر سيئاتهم ويدخلهم الجنات فى الأخرة كما فى قوله تعالى فى سورة أل عمران:

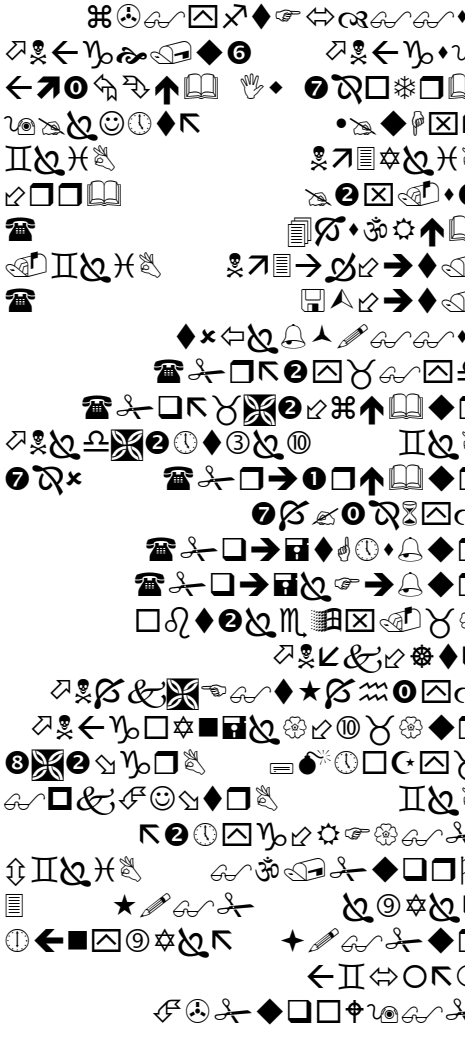

وفى سورة التوبة:
)
وفى سورة النحل:
)
)
منها أن المهاجر أعظم وأكثر درجة عند الله قال تعالى فى سورة التوبة:(
لأن المهاجر يرجى رحمة من عند الله ويشرى نفسه إبتغاءا مرضاة الله ويرجى تجارة لن تبور
منها أن المهاجر يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة قال تعالى فى سورة النساء: (

وفى سورة الحج :
)

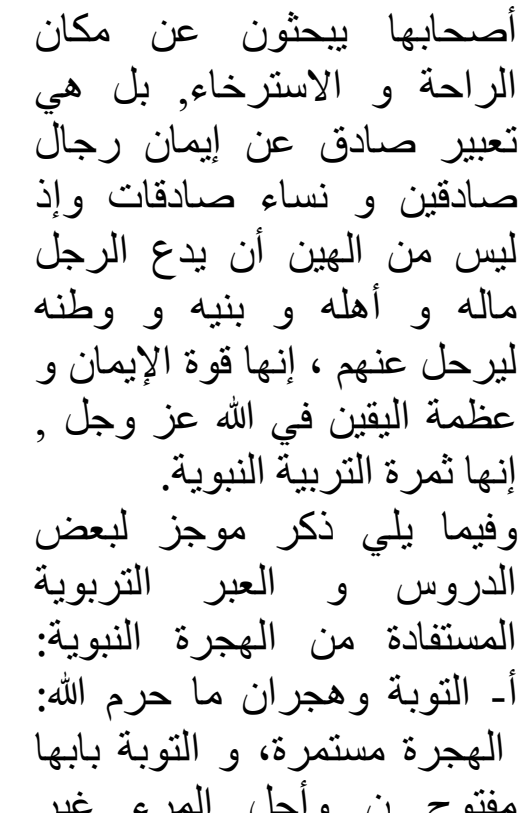

ومنها قبول توبتهم كما قال تعالى في سورة التوبة: (

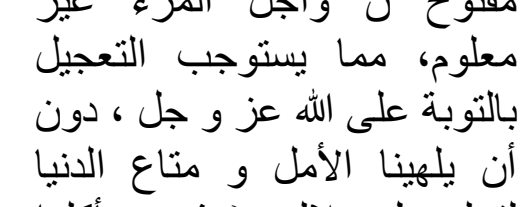

فالهجرة إذن ليست حدثا تاريخيا يقرأ وكفى في انتظار سنة أخرى، وإنما هي مناسبة لاستخراج الدروس و العبر، بل العمل بها و التأسي برسول الله صلى الله عليه و سلم لأن كل ما حولنا ينبغي أن يسخر لمصلحة دين الا سلام و في خدمة المسلمين .. لأن ضياع الدين يعني ضياع كل شيء , و قد كانت هجرة رسول الله صلى الله عليه و سلم مناسبة غالية تستوجب من كل مسلم و مسلمة التمعن في قراءتها و فهمها , ذلك أنها لم تكن مجرد هروب من الأذى و العذاب , و لم يكن أصحابها يبحثون عن مكان الراحة و الاسترخاء, بل هي تعبير صادق عن إيمان رجال صادقين و نساء صادقات وإذ ليس من الهين أن يدع الرجل ماله و أهله و بنيه و وطنه ليرحل عنهم ، إنها قوة الإيمان و عظمة اليقين في الله عز وجل , إنها ثمرة التربية النبوية.

وفيما يلي ذكر موجز لبعض الدروس و العبر التربوية المستفادة من الهجرة النبوية:

أ- التوبة وهجران ما حرم الله:

الهجرة مستمرة، و التوبة بابها مفتوح ن وأجل المرء غير معلوم، مما يستوجب التعجيل بالتوبة على الله عز و جل ، دون أن يلهينا الأمل و متاع الدنيا لقوله جل جلاله: { ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون}سورة الحجر:3. و قوله عز و جل: { وتوبوا إلى الله جميعا أيها المومنون لعلكم تفلحون} سورة النور:31 و قول الحبيب المصطفى: " توبوا إلى ربكم فوالله إني لأتوب إلى ربي في كل يوم مائة مرة" رواه مسلم في صحيحه.

فهذا رسول الله المؤيد بالله والمعصوم يتوب أكثر من مائة مرة في كل يوم، فكيف بنا نحن

البشر الخطاؤون المعرضون للفتن و وساوس الشيطان اللعين، فالأجدر بنا أن نقتدي بسنة الرسول الصادق المصدوق في الإكثار من التوبة والاستغفار. و ينبغي أن تكون هذه التوبة نصوحة خالصة لوجه الله سبحانه و تعالى، تتوفر فيها الشروط المعروفة في هذا الباب و هي الإقلاع عن الذنب و العزم على عدم الرجوع إليه و الندامة على ما مضى و رد المظالم لأهلها، و البحث عن صحبة و بيئة صالحة تعين صاحبها على ذكر الله و تخرجه من سباته و غفلاته, و هجران أصحاب السوء.

ب - صدق التوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب: إن ترك المال والأهل والولد والوطن استجابة لأمر الله عز و جل، و ثمرة تربية إيمانية عملية قوية غرضها الأسمى نيل رضى الله سبحانه و تعالى. كل ذلك كان ثمرة التربية التي تلقاها الصحابة رضي الله عنهم على يد الحبيب المصطفى في مكة المكرمة في بيت الرقم ابن الأرقم في بدء الأمر، مما يبين قمة التوكل على الله عز و جل و اليقين التام بأن نصر الله آت. فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال: لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغذو خماصا و تروح بطانا. " رواه الترمذي و غيره و قال حسن صحيح. كما حرص رسول الله أن تكون الهجرة خالصة لوجه الله تعالى حيث حرص على أن تكون الراحلة من حر ماله صلى الله عليه و سلم.

ج - ملازمة الأخيار و الصالحين لا تثمر إلا خيرا: لقد كان سيدنا أبا بكر على علم أن الرحلة لن تمر دون مشقة، و مع ذلك حرص على مصاحبة رسول الله صلى الله عليه و سلم، لأنها مصاحبة الصادق المصدوق من لدن مؤمن كأبي بكر يعرف قيمتها و غرضها النبيل، و ظهرت فرحة أبي بكر واضحة فيما روي أمنا عائشة لما رد الرسول الأعظم على أبي بكر قائلا: الصحبة. قالت عائشة: " فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ"

د- هم الدعوة لا يفارقه صلى اله عليه و سلم: حرص صلى الله عليه و سلم

على دعوة الناس إلى الإسلام في طريقه إلى المدينة المنورة كما هو شأن قاطعا الطريق اللذان دعاهما على طريق ركوبة أسلما, و كذا إسلام بريدة بن الحصيب و من معه في الغميم [واد بين مكة و المدينة [حيث صلى معهم العشاء.

ه ـ تفعيل دور المسجد: المؤسسة الحاضنة للدعوة:

إن أول عمل قام برسول الله صلى الله عليه و سلم حين وصل المدينة المنورة بناء مسجد قباء, و لم يبنه الحبيب لأداء الصلوات فقط بل كان مؤسسة تؤدى فيه الشعائر , و تدرس فيه أمور الأمة و شؤونها, و فيه تقام حلقات العلم, و منه تخرج سرايا الجهاد و الغزو.....لقد كان المسجد في عهده صلى الله عليه و سلم مؤسسة قائمة بذاتها و كانت عمارة المسجد دأب المؤمنين الأوائل امتثالا للآية الكريمة : { ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر, أولئك حبطت أعمالهم و في النار هم خالدون, إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله و اليوم الآخر و أقام الصلاة و آتى الزكاة و لم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين} سورة التوبة 18-17.

و ـ الولاية بين المؤمنين والمؤمنات:

لقد ترك المهاجرون كل شيء وراءهم بمكة , نزلوا إخوانا كراما على الأنصار أصحاب المدينة الذين نصروا و آووا و آثروا على أنفسهم و واسوا و قدموا المثال الصادق للأخوة و المحبة في الله عز و جل فقال فيهم الله عز و جل: كما في سورة الحشر السابق

ز ـ حفظ الأمانات وصيانتها:

اول ما ينبغي أن يحفظ هو دين الله عز و جل و لذلك هاجر رسول الله صلى الله عليه و سلم, و من الدين إقامة الشعائر و التقرب إلى الله بالفرض و النفل و الصلاة في وقتها , و من الأمانات كذلك الحفاظ على ذكر الله في السكنات و الحركات. و من حفظ الأمانات تخاف علي كرم الله وجهه بطلب من الرسول المصطفى حتى يقوم بوظيفتين : الأولى أن يوهم المشركين بان الحبيب لم يغادر حجرته و الثانية : أن يرد الأمانات إلى أصحابها, و هي أمانات كان المشركون يودعونها عند رسول الله رغم تكذيبهم برسالته لما يعرفون عنه

من حفظ الأمانة و صدق الحديث.
من دروسها أيضا: من آثر دنياه على آخرته خسرهما معاً

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ سورة النساء :97

معنى هذه الآية : إنسان توفاه الله وهو ظالم لنفسه ، ارتكب الكثير من المعاصي، إذا سأله الله : لماذا ؟ يقول له : البيئة يا ربي ! والله كانت صعبة جداً ؛ فيها ضغط، وإكراه على المعصية، أي الجو كله موبوء، لا أستطيع أن أفعل غير هذا. الله عز وجل يقول له : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ سورة النساء: 97 معنى هذا أيهما أغلى ؛ مكان إقامتك ، ومصالحك ، ومعملك ، وبيتك ، وسيارتك ، ومتجرك ، وأهلك ، أم دينك ؟ بالآية دينك ، ليس لك عذر عند الله عز وجل : ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ سورة النساء : 97 أي إذا رجحت مصالحك المادية ، وبيئتك ، وعملك ، وتجارتك ، وأهلك ، رجحت هذه المصالح المادية على دينك ، المصير :﴿ فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ سورة النساء : 97 لكن إذا رجحت دينك ، وفررت به ، فاسمع الجواب : ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾ سورة النساء:100 وعد من الله ، لا يوجد إنسان يهاجر من أجل دينه إلا و سيجد سعة في الأرض.

المراجع

1- ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، دار الفكر، 3/ 96 - 97.

2- ابن هشام، السيرة النبوية، بيروت، دار الفكر، 413/1.

3- أحزمي سامعون، الهجرة في القرآن الكريم، الرياض، مكتبة الرشد، 1996.

4- الزهري، المغازي النبوية، تحقيق سهيل زكار، دمشق، دار الفكر، 1981، ص 96.

5- سليمان العودة، الهجرة الأولى في الإسلام، الرياض، دار طيبة، 1419هـ، ص 34.

6- السيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، 1980، 1/ 29.

7- علي الصلابي، السيرة النبوية، بيروت، ابن كثير، 2004، 1/ 271 - 296.

8- محمد أبو شهبة، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، دمشق، دار القلم، 1996.